

## الفصل الثاني

### الكشوف الجغرافية

أولا : اسباب الكشوف الجغرافية وحركة الاستعمار :

كان من أبرز نتائج عصر النهضة الأوربية ، قيام بعض الرحالة الأوربيين بحركة الكشوف الجغرافية والتي يمكن ارجاع اسبابها الى عوامل عدة نذكر منها .

#### ١ - العامل الاقتصادي :

لقد أهتم الأوربيون بكسر عملية احتكار التجارة الشرقية والوصول الى هذه التجارة مباشرة ودون وسيط خصوصا وأن المطبخ الأوربي كان في حاجة شديدة الى التوابل والبهارات التي كانت لاتوجد الا في قصور الأمراء ، وتباع في أسواق أوربا بميزان الصيادلة وبأثمان باهظة .

ونظرا لأن هذه السلع كانت تصل الى أوربا بأسعار مرتفعة نتيجة للرسوم الجمركية التي كان يفرضها الممالك حكام مصر والشام في ذلك الوقت على هذه البضائع في أثناء مرورها من ثغور وأراضى بلادهم الى تجار البندقية ثم تحقيق هؤلاء التجار للمكاسب الضخمة في أثناء نقل هذه البضائع الى أوربا لدرجة أن كيس الفلفل الأسود كان يعادل وزنه ذهباً وأن أهل أوربا كانوا يصفون الرجل الثرى بأنه « كيس بهار » مما أثقل كاهل المستهلك الأوربي ، وجعله يفكر ملياً في البحث عن طريق قصير آخر للتجارة بهدف كسر احتكار الأسواق الشرقية ووصول منتجاتها اليه دون رسوم جمركية أو ساطة ، ومن هنا بدأ تفكير بعض الأوربيين في البحث عن طريق بحري جديد يمكن عن طريقه الوصول الى أسواق الهند وتوفير المحصولات اللازمة للمستهلك الأوربي دون الرجوع الى الطريق الذي يسيطر عليه الممالك .

## ٢ — الدافع العسكري :

حاولت بعض الدول الأوربية — النى أسهمت الاختراعات الحديثة في تحديثها ، وزيادة قدرة قوتها العسكرية — الاستيلاء على طرق التجارة الشرقية والسيطرة عليها لتوفير المحاصيل والسلع الشرقية وتصريفها في أوربا ، والحصول بذلك على كسب مادي كبير ، كما حاولت بعض الدول الأخرى احتلال بعض البلدان بحجة تأمين مصالحها والسيطرة على بقاع جديدة من الأرض واقامة مستعمرات تابعة لها فيها .

## ٣ — الدافع الديني :

سيطرت الروح الصليبية على البرتغاليين والأسبان بعد أن نجحوا في اخراج المسلمين من الاندلس ، فدفعتهم شهوة انتصارهم الى الانتقام من مسلمى الشرق ، وتوجيه ضربة قاصمة اليهم وتحويلهم الى الكاثوليكية والوصول الى طرق جديدة توصلهم الى بيت المقدس في فلسطين لاستخلائه من المسلمين بعد أن فشلت الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر من تحقيق ذلك .

يضاف الى ذلك رغبتهم في الوصول الى مملكة « القديس يوحنا » المسيحية في شرق افريقية والتحالف معهم ضد المسلمين ونشر المسيحية الكاثوليكية بين أهالي غرب أفريقيا وغيرها من المناطق .

وقد باركت الكنيسة هذه الجهود حيث أصدر البابا نيقولا الخامس منشورا يدعو فيه الى تكوين تحالف صليبي لغزو الشعوب التي لا تدبى بالمسيحية وتنصر سكانها ، كما منح ملوك اسبانيا والبرتغال حق مكتبة الاقاليم الجديدة أو البحار التي يتم كشفها .

## ٤ — نمو الروح القومية :

ارتبط نمو الروح القومية ، وانشاء الدول المستقلة في أوربا بالرغبة في التوسع وبسط النفوذ بالاستيلاء على بعض البلدان في افريقية وآسيا والعالم الجديد ، وقد نتج عن ذلك التنافس بين هذه الدول في الاستيلاء على المستعمرات مما أدى الى اندلاع الحروب بين الدول الأوربية نفسها من أجل

السيطرة على بقاع جديدة ، وكانت الدول السباقية في هذا المجال البرتغال واسبانيا ثم هولندا وانجلترا وفرنسا .

### ٥ — تقدم العلوم الجغرافية والفلكية :

نتيجة لتقدم علم **الجغرافيا وعلم الفلك** ، وتطوير البوصلة والتعمق، في ادراك حركات الكواكب والنجوم واختلاف الاجواء تشجع الملاحون في اجتياز البحار والمحيطات ، والتوسع في بناء السفن .

يضاف الى ذلك عدة عوامل أخرى منها رغبة بعض الأوربيين في الكسب المادى السريع عن طريق الكشوف الجغرافية ، وحب البعض الآخر لروح المغامرة والكشف والرغبة في السطو والتسلط واغتصاب حقوق الآخرين .

وعلى كل حال فقد توجت عملية الكشوف الجغرافية جهودها باكتشاف الأمريكتين في عام ١٤٩٢ م ثم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ م .

### ثانيا : فضل البحارة المسلمين على البعثات الكشفية الأوربية :

عرف العرب ركوب البحار منذ الأزمنة القديمة ، وسعد ظهور الاسلام ركبوه للجهاد والتجارة والبحث عن المعادن النفيسة .

وعندما اتسعت ارجاء الدولة الاسلامية ، ووصلت حدودها الى اوريا غربا والى بلاد الصين شرقا كثرت رحلات المسلمين العلمية ووصل نشاطهم الملاحى الى ارجاء المحيط الهندى ، وأرخبيل الملايو والصين وبحر الروم وبحر القلزم ، وساهموا في تطوير علم الجغرافيا وتصحيح الكثير من آراء اليونان القدامى حول تصورهم بأن هناك مناطق بمثابة مأوى للشياطين والوحوش ويحذرون من اقتحامها لوجود نار تمنع اجتيازها وتحطم اى سفينة تقترب منها .

ووضع المسلمون خرائط بحرية للاسترشاد بها منذ القرن العاشر الميلادى .

كما اخترعوا البوصلة والاسطرلاب هذا في الوقت الذي كانت فيه معلومات الأوربيين الجغرافية ضئيلة وممزوجة بالخيال والى جانب ذلك كانت أوربا تؤمن بأن الأرض مسطحة ، وتحرق كنائسها . كل ما يخالف ذلك من علم ومعرفة في حين اتخذ العرب من تجاربهم الشخصية أساسا جديدا للجغرافية الملاحية .

ومن أشهر المسلمين الذين جابوا العالم المعروف آنذاك المسعودى البغدادي ( ت ٣٤٦ هـ ) صاحب كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » والذي ترك لنا خريطة امتازت بتحديد كل من البحر المتوسط والبحر الأسود وبحر أورال وانهار النيل ، والسند ، والكانج والادريسي الاندلسي (١٠) ( ت ٥٦٢ هـ ) والذي تلم بعدة رحلات ما بين اسبانيا والسياحل الغربي لانجلترا ، وقضى في صقلية حوالي خمسة عشر عاما قام في اثنائها برسم الخرائط (١١) والبحث والدرس ، كما عمل معلما لبعض الأوربيين .

وقد استعان البرتغاليون بخبرات العرب البحرية واستخدام الآلات الملاحية التي كانوا يستعملونها مثل البوصلة والاسطرلاب بعد أن تعرفوا عليها عن طريق يهود الاندلس الذين نقلوا اسرارها اليهم ، والى جانب ذلك فقد كانت معرفة البحارة العرب بالطرق البحرية الموصلة الى الهند هي التي ارشدت البرتغاليين الى معرفة هذه الطرق ، وأبرز مثال على ذلك هو أن الملاح العربي الخليجي « أحمد بن ماجد » هو الذي ارشد فاسكودي حامبا الى الطريق الموصل الى الهند .

---

(١٠) ولد في اشبيلية وتلقى علومه في قرطبة ، وتعد اعماله اعظم عمل عربي في العصور الوسطى اذ يمثل نقطة الاحتكاك بين الحضارتين الاسلامية والمسيحية .

(١١) رسم الادريسي خريطة للعالم في النصف الاول من القرن الثاني عشر للتفاصيل انظر : يسرى الجوهري : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٩ ص ١٢٣ - ١٢٧ .

### ثالثا : أحوال العالم الإسلامى خلال فترة الكشوف الجغرافية :

عانى العالم الإسلامى خلال هذه الفترة من ويلات التمزق والانقسام ، وافتقر الى الوحدة التى تحقق له القوة وتمكنه من مواجهة أعداء الإسلام ، وعاش فى ثبات عميق وعزلة عن العالم الأوروبى وكان من نتائج ذلك هزيمة البحرية الإسلامية فى موقعة ديو البحرية عام ١٥٠٩ م

ولقد انقسم العالم الإسلامى خلال هذه الفترة الى ثلاث قوى متصارعة تحاول كل منها القضاء على الأخرى فهناك الدولة المملوكية فى مصر والشام والحجاز وعاصمتها القاهرة ويحكمها السلطان قانصوه الغورى ، وهناك الدولة الصفوية فى بلاد فارس وأعلى العراق وعاصمتها تبريز ، ويحكمها الشاه اسماعيل الصفوى ، وهناك الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى وبعض مناطق شرق أوربا وعاصمتها استانبول ويحكمها السلطان سليم الأول .

واستمر الوضع الإسلامى على ذلك المتوال حتى استطاع السلطان العثمانى سليم الأول هزيمة كل من الصفويين والماليك وتوحيد العالم الإسلامى تحت السيادة العثمانية التى استطاعت الوقوف فى وجه أعداء الإسلام فترة ليست بالقصيرة وضرب المخططات البرتغالية الهادفة الى الالتفاف حول الجزيرة العربية والاستيلاء على الاماكن الإسلامية المقدسة ، واغلاق البحر الأحمر فى وجه السفن غير الإسلامية .

هذا بالإضافة الى توغل الدولة العثمانية فى قلب أوربا ونجاحها فى ضم اقاليم أوروبية شاسعة وانتزاعها لبعض جزر قراصنة الصليبيين فى البحر المتوسط .

### رابعا : حركة الكشوف الجغرافية :

#### ١ — الكشوف البرتغالية :

تعد البرتغال أول دول أوربا البحرية التى بدأت حركة الكشوف الجغرافية ، ومهدت للهجمات الاستعمارية المتتابعة التى توالت على بلاد الشرق .

وقد يرجع احراز البرتغال لقصب السبق في هذا المجال الى عدة عوامل  
نذكر منها .

١ — موقعها الجغرافي على المحيط الاطلسي .

٢ — رغبتها في استمرار الحروب الصليبية ضد المسلمين .

٣ — استفادتها من الخبرات البحرية لدى اهالي جنوه والبندقية وقيامها  
بادخال بعض التعديلات على البوصلة باضافة مؤشر يبين اتجاه الرياح مما  
ساعد على تقدم الملاحة البحرية .

٤ — اطلاعها على مجهودات وخبرات علماء المسلمين البحرية وانتفاءها  
باختراع البوصلة البحرية والتعمق في ادراك حركات الكواكب .

٥ — بنائها للسفن السريعة القادرة على عبور المحيطات والبحار  
وعلى السير اثناء الرياح .

وترتبط حركة الكشوف البرتغالية بالأمير هنرى الملاح Henri  
Le Navigateur ( ١٣٩٤ — ١٤٦٠ )

وهو الابن الثالث للملك البرتغال يوحنا الأول وقد اهتم الأمير هنرى منذ  
صباه بالدراسات الجغرافية والفلكية ، فكان شغوفا بدراسة الخرائط  
الجغرافية والاجرام السماوية والطرق البحرية ، وحركات الرياح كما عنى  
بالعمل على تطور بناء السفن ، هذا الى جانب انه يعد المحرك الأول لحركة  
الكشوف البرتغالية لمدة تزيد على الأربعين عاما .

وقد اشترك الأمير هنرى في مغامرات حربية ضد بلاد المغرب العربى  
احتل فيها مدينة سبتة في عام ١٤١٥ والتي كانت تعد سوقا كبيرا للمغاربة  
وحاول الانطلاق منها الى مناطق أخرى بفرض نشر الديانة المسيحية فيها  
ولكنه منى بفشل ذريع حينما حاول الاستيلاء على طنجة في عام ١٤٣٧ م  
كما قام بتأسيس معهد أبحاث جغرافي على الطرف الجنوبي من شواطئ  
البرتغال في عام ١٤١٨ م وبنى قلعة ومرصدا وقصرا لحفظ الخرائط .

كما استقدم اليه صفوة من الفلكيين والجغرافيين وقدم اليهم مجموعات ضخمة من الخرائط والمراجع الفلكية للاستفادة منهم في رحلاته البحرية ، يضاف الى ذلك قيامه بالعديد من المحاولات لعقد اواصر الصداقة مع القديس يوحنا حاكم الحبشة المسيحي للاستعانة به في انشاء امبراطورية برتغالية في افريقيا ، وتطوير الجناح الاسلامى هناك .

وقد نجح هنرى في استكشاف بعض الجزر في المحيط الاطلسى كما نجح في ارتياد الساحل الغربى لافريقيا عام ١٤١٨ — وقد عرف هذا الطريق البحرى بالطريق البرتغالى — واقام بنق حربية حصينة عليه ، واتخذ منها مراكز حربية وتجارية تمكنه من الوثوب الى العديد من المناطق الأخرى ، كما تمكن من اكتشاف جزر ماديرا في عام ١٤٢٠ وجزر آزور في عام ١٤٣١ .

وبفضل هذه الجهود مهد هنرى الطريق امام انخطوات الجادة لاكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وان كان الأجل لم يمهله حتى يرى ثمرات جهوده فمات في عام ١٤٦٠ م .

وعلى كل حال غانه نتيجة للتنافس الاستعماري بين البرتغال واسبانيا ، وقيام بعض الاضطرابات الداخلية تعطلت جهود البرتغاليين الكشفية لفترة استمرت بين عامى ١٤٧٥ — ١٤٧٩ م ثم خطت الكشوف البرتغالية خطوة جريئة حققت بها نصرا مهما عندما أمر الملك يوحنا الثانى بارسال بعثة كشفية بقيادة بارثوليميو دياز عام ١٤٨٧ . فعبر الساحل الافريقي ، ودار حول القارة السوداء بقصد الوصول الى الهند عن طريق البحر مباشرة ونجح في ارتياد الساحل نحو الجنوب حتى وصل الى الخليج . سماه خليج الزوابع نظرا لشدّة التيارات النحرية التى وجدها هناك ، ولم يستطع « دياز » الاستمرار في رحلته نظرا لثبوت بعض بحارته عليه ، فاضطر الرجوع الى برشلونة مارا بمنطقة الكاب مبشرا بطريق جديد الى الهند ، وعندما ابلغ ملك البرتغال بأن الطريق الى الهند أصبح قريب المئال بعد اكتشاف هذا الخليج تغير الاسم الذى اطلقه « دياز » عليه من خليج الزوابع الى رأس الرجاء الصالح .

وفى حين كان البرتغاليون يتابعون نشاطهم الكشفي دخلت اسبانيا

حلبة هذه الكشوف وبدأت تسعى من جانبها في الوصول الى الهند عن طريق الانجاه الى الغرب ، مما أدى الى توتر الموقف بينهما وتوقف حركة الكشوف البرتغالية لمدة تزيد عن عشر سنوات وخشية من مغبة قيام حرب بين الدولتين من اجل السيطرة على المناطق المكتشفة توسط البابا اسكندر السادس في الأمر ، ونتج عن هذه الوساطة عقد معاهدة في عام ١٤٩٤ م ثم بمقتضاها تحديد حد فاصل بين نطاقات سيطرة كل من الدولتين بحيث تنصب الكشوف البرتغالية شرقي المحيط الاطلسي على بعد ٣٧٠ ميلا غربى جزائر الرأس الأخضر في حين تتجه الكشوف الاسبانية نحو غربى المحيط الاطلسي ، وتكون البرازيل من نصيب البرتغال وحدها (١٢) .

ونتيجة لذلك استمرت البرتغال في انمام كشوفها فأرسلت فاسكودى جاما لاتمام ما بدأه بارتوليو دياز في اجتياز طريق رأس الرجاء الصالح والوصول الى شرقى افريقيا والهند ، وقد تم له ذلك .

ونظرا لأهمية هذا الكشف فسنعرض له ولصاحبه ودوره في اتمام الدوران حول جنوبى افريقيا الوصول الى ساحلها الغربى .

ولد فاسكو دى جاما عام ١٤٦٠ م واثظم في مطلع حياته يسلك الجندية ، ثم ارسله عما نيول الثانى ملك البرتغال في رحلة الى الهند عن طريق رأس الزوابع في عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧م وللأهمية التى يعلقتها التاج البرتغالى على هذه الرحلة قام الملك عمانويل بنفسه بتوديعها . وقد اصطحب دى جاما في هذه الرحلة اربع سفن تضم ما يقرب من مائة وخمسين بحارا ، كما حمل معه العديد من الخرائط الملاحية والكتب .

وقد سار « دى جاما » من لشبونة محاذيا للساحل الغربى الافريقي

---

(١٢) عقدت بعد ذلك معاهدة بين الدولتين في عام ١٥٢٩ كانت في مصلحة البرتغال في المحيط الهادى فاتفق على أن تكون الملقا للبرتغال والفلبين لاسبانيا .

انظر . ارنولد توينى : تاريخ البشرية ج ٢ — ترجمة نقولا زيادة ، ص ٢١٧ .

حتى رأس الرجاء الصالح ، في محاولة منه لتحديد الاطار الخارجى لتجارة افريقيا على خريطة كانت لديه ثم واصل رحلته حتى وصل الى موزمبيق .

وفي العاشر من مارس ١٤٩٨ م أبحر دى جاما الى مومبسا ووصل اليها بعد جهود مضية حيث كادت العواصف العنيفة تحطم معظم سفنه ، ولما لم يجد ترحيبا من اهالى هذه المنطقة أبحر الى ماليندى ( كينيا الحالية ) وفي ماليندى قابل « دى جاما » الملاح العربى الخبجى المولد شهاب الدين أحمد بن ماجد ، وانهش من مقدرته على معرفة الأمور الملاحية ، وطرقها وأسرارها كما ازداد اندهاشه عندما رأى المعدات البحرية المتطورة التى يستخدمها ابن ماجد على سفينته والتى منها اسطراب عربى من المعدن والعديد من الخرائط وبعض الآلات التى يسجل بها ارساده ، ونتيجة لذلك طلب دى جاما من ابن ماجد أن يرشده الى الطريق الموصول للهند ووافق ابن ماجد على ذلك ، وقاد معه سفينة القيادة البرتغالية حتى أوصله الى ثغر قاليقوط فى ١٨ مايو ١٤٩٨ وكان هذا الثغر مركز تجارى هندى كبير يتعامل معه الكثير من التجار العرب ونتيجة لذلك رأى «دى جاما» المكائنة التى يتمتع بها الرحالة العرب والمسلمون فى هذا الميناء ، مما دفعه الى أن يغير اتجاه سيره فصار شمالا حتى وصل الى «جوا» شمالي «قاليقوط» وعلى الساحل الغربى لشبه جزيرة الهند ، وهناك حمل سفنه بمنتجات هذه البلاد وعاد الى البرتغال يحمل الى ملبكها بشرى نجاح رحلته الكشفية .

ولقد نتج عن هذه المرحلة عدة نتائج مهمة نذكر منها :

١ — انها كانت بداية لأطماع البرتغاليين فى تجارة الهند وفتحا للعلاقات التجارية والسياسية مع الزامورس حاكم قاليقوط مما تسبب فى احتكاكهم بالمسلمين ومنافستهم للتجار العرب ومحاولتهم طردهم من هذه البلاد .

٢ — انها كانت فاتحة الاستعمار البرتغالى فى الشرق والسيطرة على بعض جزره ومراكزه وحصونه التى يمكن عن طريقها السيطرة على حركة الملاحة مثل مضيق هرمز .

٣ — انها كانت بداية نقطة تحول التجارة الشرقية من البلاد العربية

الى طريق رأس الرجاء الصالح — خصوصا بعد موقعة ديسو البحرية  
١٥٠٩ م — مما أدى الى أحداث كساد اقتصادى للدولة المملوكية .

وعلى كل حال فقد قام دى جاما برحلته الثانية عام ١٥٠٢ بهدف  
اغلاق المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، والقضاء على النفوذ التجارى العربى  
على السواحل الهندية الغربية والقيام بعقد معاهدات تجارية لدولة البرتغال  
مع الأمراء الهنود وبعد وصوله الى سواحل شرق أفريقيا قام بضرب مدينة  
كلوة بالتنازل ، وأجبر سلطانها على الاعتراف بخضوعه للملك البرتغال ودمع  
جزية سنوية له وقام بضرب السفن البحرية الموجودة عند مدخل البحر  
الأحمر ، وبدأ أعمال القرصنة ضد السفن الاسلامية امام ساحل المدار ،  
كما قام بضرب قاليقوت بمدفعية أسطوله يضاف الى ذلك أنه اغرق سفينة  
اسلامية فى خليج عمان كانت تستقل حجاج من الهند الى مكة المكرمة ، وعلى  
ظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعا .

وبعد هذه الأعمال الاجرامية عاد « دى جاما » الى بلاده فى عام ١٥٠٣م  
بعد أن ترك أسطولا برتغاليا فى المياه الهندية .

وعلى كل حال فقد نتج عن الكشوف البرتغالية عدة نتائج مهمة نذكر  
منها :

١ — تمكن البرتغاليين من الوصول الى الهند عن طريق بحرى جديد  
لا يمر بالأراضى الاسلامية ولا يخضع لنفوذها .

٢ — سيطرة البرتغاليين على الساحل الاfricanى الغربى .

٣ — قيام العديد من المغامرين بالمزيد من الرحلات الاستكشافية .

٤ — انتشار تجارة العبيد المجلوبين من أفريقيا بواسطة السفن  
البرتغالية الى أوروبا .

٥ — القضاء على الحركة التجارية الاسلامية التى كانت تمخر عباب  
المحيط الهندى ، وتشاهد دائما فى وائنه وانتقال مركز التجارة العالمية من

البحر المتوسط الى المحيط الاطلسي مما اضاع الثراء الذي كان يتميز به الممالك والبنادقة .

٦ — حصول البرتغاليين على العديد من كنوز الشرق وثرواته ونتيجة لعدم قدرة التجار العرب والأمراء الهنود على مقاومة النفوذ البرتغالي انزاحف طلبوا النجدة من الممالك حكام مصر والشام في ذلك الوقت ، فعد السلطان المملوكي قانصوه الغوري أسطولا لوقف زحف البرتغاليين في أعالي البحار الشرقية ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، حيث ضرب أسطوله في موقعة ديو البحرية ١٥٠٩ م وواصل البرتغاليون سيطرتهم وقرصنتهم على البحار الشرقية فقام « الفونسو البوكيرك » بالاستيلاء على « هرمز » في الخليج العربي ، وعلى « سوقطره » عند مدخل البحر الأحمر ، وعلى « جوا » Goa كما حاول البرتغاليون اقتحام عدن واختراق البحر الأحمر والوصول الى الأماكن الاسلامية المقدسة في الحجاز ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل نتيجة لتصدى أمراء الممالك لهم .

وبعد وقوع منطقة المشرق العربي تحت السيطرة العثمانية منذ عام ١٥١٦ م وقع عبء الكناح ضد البرتغاليين على عاتق العثمانيين الذين وان لم ينجحوا في انتزاع السيادة البحرية من البرتغاليين ، فانهم نجحوا في احكام سيطرتهم على البحر الأحمر نهائيا ، وجعلوه بحرا اسلاميا خالصا .

ولم يكف البرتغاليون بما حققوه من اكتشافات في آسيا وانريقيا ، بل ساعدتهم الظروف في الوصول الى سواحل البرازيل عندما دفعت الرياح الملاح البرتغالي « كبرال » الى الغرب فنزل الى سواحل البرازيل ومن هنا بدأ البرتغاليون في احتلال هذه البلاد ونشر المذهب الكاثوليكي بين سكانها .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل نجح الشعب البرتغالي الصغير العدد في بسط سلطانه على الممتلكات الكثيرة التي استولى عليها نتيجة لحركة الكشوف الجغرافية ؟

الواقع أن الاستعمار البرتغالي لبلاد الشرق لم يكن قائما على أساليب وقواعد استعمارية تحمل في طياتها الاستيطان والاستقرار بل كان همه وقيل

كل شيء هو احتكار التجارة والحصول على أرباحها دون الاهتمام بالتنظيم السياسي أو الحكومي في البلدان التي استولى عليها مما أدى إلى انهيار صرح هذه الإمبراطورية أمام التنافس الاستعماري الأوربي خصوصا بعد أن فقدت البرتغال نفسها استقلالها ، ووقعت تحت الحكم الإسباني حيث آل عرشها بحكم الوراثة إلى فلييب الثاني ملك إسبانيا ، فخرجت البرتغال من بلاد الشرق وهي مئخنة بالجراح ، وانتقلت السيادة التجارية إلى يد الهولنديين والانجليز .

## ٢ — الكشوف الإسبانية :

لم يتوقف أمر حركة الكشوف الجغرافية على البرتغاليين بل نافستهم إسبانيا في هذه الطبقة ثم تبعها دول أوربية أخرى مثل هولندا وانجلترا وفرنسا .

وقد اتجهت الكشوف الإسبانية ناحية الغرب تاركة للبرتغاليين جهة الشرق — طبقا لوساطة البابا أسكندر السادس — فأرسلت في أغسطس عام ١٤٩٢م وبتشجيع ومباركة فرديناند وايزابيلابعثة كشفية تحت رئاسة الملاح الجنوى الأصل كريستوف كولمبس .

والسؤال المطروح هو لماذا نافست إسبانيا البرتغال في حركة الكشوف ؟ وهل كان قصد كولمبس اكتشاف العالم الجديد أو الوصول إلى الهند ؟

الواقع أن منافسة إسبانيا للبرتغال كانت برغبة الحصول على نصيب لها من الذهب والفضة عن طريق التجارة الشرقية التي سبقتها إليها جارتها البرتغال ، ومحاولة الاتصال بدول الشرق عن طريق الإبحار غربا عبر المحيط الأطلسي حتى تتمكن من وقف احتكار البنادقة للتجارة الشرقية ، هذا بالإضافة إلى الأسباب الدينية المتمثلة في الرغبة بتحويل سكان البلاد المكتشفة إلى المسيحية ، ورفع راية الصليب عليها .

أما عن القصد من اكتشاف عالم جديد فقد جاء وليدا للصدفة .

حقيقته لقد كان الأوربيون يقرؤون في ذلك الوقت كتابات الرحالة جاركز بولو ، ويستمعون الى القصص المثيرة عن البلاد الغنية بالذهب والجواهر ويؤكدون وجود أراض ، وجزر غريبة وعجيبة في المحيط الأطلسي، ولكن لم يكن في حساباتهم فكرة اكتشاف عالم جديد وخاصة وان الفرض من رحلات كولبس كان اكتشاف جزر الهند الشرقية أو جزر التوابل وعلى كل حال فقد أبحر كولبس في المحيط الأطلسي غربا في عام ١٤٩٢ م وبرفقتة ما يقرب من مائة بحار بينهم طبيب وجراح ومترجم حتى وصل الى أرض يابسة فاعتقد انه وصل الى جزر من ساحل الهند مركز انتاج التوابل لذلك سمى سكانها بالهنود ، وفي الحقيقة أنه اكتشف جزر الانتيل الصغرى وبعض جزر الباهاما .

وقد أطلق كولبس على هذه المنطقة اسم سان سلفادور ثم توجه بعد ذلك الى شاطئ كوبا الشمالي ، وجزيرة هايتى وسماها اسبانياولا اى اسبانيا الصغيرة وعلى الرغم من هذه الرحلة لم يكتنفها العواصف ، فقد كان بحارته قلقين من مصيرها .

وبعد حوالي ثمانية شهور من قيام هذه الرحلة عاد كولبس الى اسبانيا حيث استقبل استقبالاً حافلاً ، كما وعدته الملكة ايزابيلا بأن تعينه حاكماً على الأراضى التى اكتشفها من قبل الملك مما شجعه على القيام بثلاث رحلات أخرى اكتشف فيها جزءاً من شاطئ أمريكا الوسطى والجنوبية والبحر الكاريبي .

وهناك عمل على نشر المسيحية في هذه البلاد ، وقرب بعض اهالى هذه البلاد اليه بمنحهم بعض الخرز والجراس الصغيرة التى كان قد احضرها معه وقد اطلق الأسبان على اهالى هذه المناطق اسم الهنود لاعتقادهم الخاطيء انهم وصلوا الى بعض سواحل الهند . وعلى كل حال يبدو أن النجاح الذى حققه كولبس قد زاد من كثرة حاقديه الذين أوغروا صدر البلاط الأسباني عليه بحجة أنه أضاع أموال اسبانيا في رحلات لم تجن منها الدولة على ما كان يؤمله الأسبان من توابل الشرق مما أدى الى اقصائه من منصبه وايداعه السجن الذى ظل فيه معتقداً أنه لم يكتشف قارة جديدة وإنما نزل الى ساحل الهند ، وهذا هو السبب الذى جعل اكتشاف

أمريكا لم ينسب إليه وإنما نسب إلى « أمريجو غيزبوتشى » الذى نجح بعد ذلك فى الوصول إلى الشاطئ الشرقى لأمريكا الجنوبية مؤمداً من ملك البرتغال .

والسؤال المطروح هو ما مدى صحة ما يتردد حول أن العرب وصلوا إلى أمريكا قبل رحلة كولبس ؟

الواقع أن العالم الصينى الدكتور ( هوى لزلى ) أستاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا الأمريكية كان قد أكد ذلك فى بحثه الذى القاه فى الاجتماع الحادى والسبعين بعد المائة لجماعة المستشرقين بمدينة فلانلنيا واستند فيه إلى وثائق محفوظة فى الصين وإلى فصائل من النباتات والحيوان لم تكن من محاصيل الأرض الأمريكية ، وذكر من أخبار تلك الوثائق أن اكتشاف العرب لأمريكا تم فى القرن الثانى عشر الميلادى فى رحلة استغرقت مائة يوم . وإلى جانب ذلك فقد عثر فى ريو دى جانيرو بالبرازيل على صخرة عليها نتوتس قريبة الشكل إلى هذه المناطق .

ومع كل ذلك فإن المعلومات حول اكتشاف العرب لأمريكا لا تزال محدودة المجال وإن كان يتردد بعضها بين الحين والآخر .

وعلى كل حال فقد كان لرحلات كولبس نتائج مهمة نذكر منها :

١ — أنه فتح أمام الأوربيين الآفاق للهجرة والاستيطان فى عالم جديد ارتياد العالم الجديد .

٢ — أنه فتح أمام الأوربيين الآفاق للهجرة والاستيطان فى عالم جديد

٣ — أنه فتح آفاقاً جديدة لجمع الثروات المعدنية والمواد الخام التى غيرت مجرى الاقتصاد الأوروبى .

٤ — أنه أدى إلى تشكيل مجموعة جديدة من الأمم فى نصف الكرة الغربى تختلف تماماً عن الشعوب الأصلية التى سكنت تلك المناطق .

٥ — أن هذا الاكتشاف كان أحد الأحداث الفاصلة فى التاريخ

الصالى .

٦ — أنه ولد حكم الأسبان الكاثوليك في أمريكا الوسطى والجنوبية ووضع لهم موطىء أقدام للانطلاق لغزو المكسيك وبيرو وغيرها .

٧ — انه أدى الى نشر المسيحية في الأراضى المكتشفة التى كان لا يدين أصحابها بديانة سماوية .

وبعد وفاة الملك فرديناند تولى الحكم من بعده حفيده شارل الأول الذى بلغت الكشوف الأسبانية في عهده قمة نجاحها ، فبعد أن تخلى الملاح البرتغالى « ماجلان » عن جنسيته البرتغالية — بعد أن رفض الملك عما نوبل ملك البرتغال أن يعطيه أسطولا للإبحار عن طريق الغرب . — عرض على الملك شارل الخامس فكرة الإبحار عبر المحيط الاطلنطى لاكتشاف جزر التوابل وإعلان ملكيتها لأسبانيا في نظير امداده بمجموعة من السفن والرجال ، وبعد أن وافق ملك أسبانيا على طلبه لا عن عقيدة بنجاح الفكرة ولكن لأن حماسة الشاب وعميق ايمانه بفكرته أخذ بلب الإمبراطور ومن هنا أبحر ماجلان جنوبا في المحيط الاطلسى في صباح ٢٠ من سبتمبر ١٥١٩ م في رحلة الى آفم-ساق مجهولة ، تصحبه خمس سفن عليها ٢٦٥ بحارا وبعد حوالى ثلاثة أشهر استطاع الوصول الى أمريكا الجنوبية والابحار الى « ريو دى جانيرو » في البرازيل ، وهناك خرج الأهالى من أكواخهم وأخذوا يرحبون بالأغرب ويتبادلون معهم ما يملكونه (١٢) ثم دار حول شواطئ أمريكا الجنوبية ودخل الى محيط كانت المياه والزوابع فيه هائلة فاطلق عليه **Pacific** أى المسالم أو الهادىء الذى يعد ماجلان أول من قام باجتيازه .

وواصل ماجلان سيره حتى وصل الى الشواطئ التى اطلق عليها اسم الفلبين تكريما لاسم الأمير فليب الذى تولى عرش أسبانيا فيما بعد ، والتى بقيت في حوزة أسبانيا لفترة طويلة .

---

(١٢) أشار بيجانيتا أحد البحار المصاحبين لماجلان في مذكراته الى أن « الأهالى البسطاء كانوا يعطوننا لقاء كل جرس معدنى صغير سنة كبيرة مملوءة بالبباطس » كما كتب عن النساء اللاتى كان كل ما يطفى اجسادهن السمر شعور طوال سود كالليل البهيم .

وعلى كل حل فان ماجلان لم يعد الى اسبانيا حاملا أخبار اكتشافاته حيث قتل في أحد حروبه داخل الفلبين بتيبال مسمومة اخترقت فخذة وأزهقت روحه .

### النتائج التي حققتها رحلة ماجلان :

١ — لن ينسى التاريخ أن ماجلان ذلك الشاب الأعرج قد برهن للعالم مدى قدرة الانسان على تحمل المشاق .

٢ — أثبتت هذه الرحلة أن السير في اتجاه واحد سواء كان ذلك من الشرق أم من الغرب لا بد أن يؤدي الى الرجوع للمكان الذي بدأ منه الانسان رحلته مما اثبت بالدليل القاطع الحقيقة الجغرافية التي تؤكد كروية الأرض .

٣ — أن هذه الرحلة فتحت طريق الشرق الأقصى أمام الأوربيين ، كما ربطت العالم الجديد بالشرق الأقصى .

٤ — أثبتت هذه الرحلة أن هناك قارتين عظيمتى الاتساع هما أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية يقعان بين أوروبا وآسيا .

٥ — أنها كشفت الطريق المؤدى الى المحيط الهادى وصححت الفكرة عن نسبة مساحة اليابس بالنسبة للماء .

٦ — أنها منحت الانسانية عطاء وافرا من الثروة والمعرفة .  
وهكذا أصبح ماجلان الذى مات قبل أن يرى ثمار عمله ويرى رأسه مكلاة بأكاليل الغار مثلا واضحا للشجاعة الخارقة والعزم الراسخ .

### ثالثا الكشوف الإنجليزية :

آثار النجاح الذى احرزته كل من البرتغال واسبانيا رغبة الدول الأوربية الأخرى فى النزول الى هذه الحلبة فأدلى الانجليز بدلوهم فى هذا المجال ، وان كان الدور الذى قاموا به فى حركة الكشوف يعد ضئيلا بالنسبة لما حققته الاسبان والبرتغاليين من كشوف .

ففى عهد الملك هزى السابع قامت بعثة بقيادة الابطالى « جون كابوت » بعبور الاطلسى والوصول الى شاطيء امريكا الشمالية عند « نيوفوندلاند » فى ٢٤ من يونيو ١٤٩٧ ورنع الاعلام الانجليزية هناك ، كما ابهر « كابوت » مرة ثانية بخمس سفن فى عام ١٤٩٨ ووصل الى فلوريدا مما أدى بعد ذلك الى استعمار الانجليز لأمريكا الشمالية ، ومن ثم أصبح ملك انجلترا صاحب السيادة والنفوذ على هذه المناطق

وفى عام ١٦٠٠ وافقت الملكة اليزابيث على تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية .

### رابعا : الكشوف الفرنسية

اتجهت فرنسا بكشوفها الجغرافية نحو امريكا الشمالية حيث قام الملاح « جاك كارتيه » بأربع رحلات اكتشف خلالها اقليم كندا ، ومصب نهر سانت لورانس فى عام ١٥٢٥ ، وتوغل فى العديد من المناطق الأمريكية . ونتيجة لذلك تكونت شركات فرنسية عند منطقة « سان لورانس » لاستغلال هذه المنطقة اقتصاديا .

وفى عام ١٦٨٢ اكتشف الفرنسيون نهر المسيسى وانتشرت قواتهم فى مساحات واسعة من امريكا الشمالية ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث حاربهم الانجليز وانتزعوا كندا من ايديهم .

### خامسا : الكشوف الهولندية :

كان للهولنديين دور بارز فى حركة لكشوف الجغرافية حيث قام الملاح « هنرى هدسون » بعبور شمال الأطلسى والوصول الى خليج نيويورك ونهر الهدسون الذى سمي باسمه ، كما اكتشف القبطان الهولندى « وليم شويتن » طريق رأس هورن فى عام ١٦١٦ والذى أصبح منذ ذلك الوقت طريقا ملاحيا مهما ثم واصل المستكشفون الهولنديون رحلاتهم حتى اقتربوا من استراليا ونيوزيلندا بين عامى ١٦٢٢ — ١٦٢٤ ولكن نظرا لعدم متابعتهم لهذه الكشوف نسبت فيما بعد الى الانجليزى « جيمس كوك » الذى قام بثلاث رحلات اكتشف فيها استراليا ونيوزيلنده وبعض جزر المحيط الهادى .

وعلى كل حال فقد اتخذ الهولنديون من رحلة هيدسون أساسا بنوا عليه حتوتهم في امتلاك واستعمار المنطقة الساحلية في أمريكا الشمالية الواقعة بين خطى عرض ٤٠ ، ٤٥° من الشمال ، كما أقام الهولنديون مركزا تجاريا مهما في جزيرة مانهاتن ، ومحطة تجارية لجمع الفراء وفي عام ١٦٢٢ م تأسست شركة الهند الغربية الهولندية ومنحت حقوقا تجارية واستعمارية واسعة في مناطق من العالم الجديد وعلى طول ساحل إفريقيا الغربية جنوبى مدار السرطان فسيطرت نفوذها على إقليم نهر هيدسون وبنيت قلعة أمستردام كما اشترت هولندا جزيرة مانهاتن بأربعة وعشرين دولارا .

وفي عام ١٦٢٢ أصبحت نيوزلنده ( هولندا الجديدة ) مستعمرة حقيقية للهولنديين .

كما استولى الهولنديون على ساحل غينيا وفي عام ١٦٣٤ استولوا على « كوركو » بجزر الهند الغربية ونزلوا جيانا بأمريكا الجنوبية واحتلوا جزءا من البرازيل لمدة ثلاثين سنة حتى عام ١٦٥٤ م .

كما احتلوا جزيرة هيلانة ، واقاموا مستعمرة عند رأس الرجاء الصالح ١٦٥٢ م واستولوا على جزيرة موريشيس وجزيرة سيلان وساحل الهند الجنوبي الشرقى وكذلك على محطات لتجارة الحرير في فارس ، ومحطة لتجارة البن في المخا باليمن .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد انصب اهتمامهم الى أرضبيل الملايو من أجل ذلك أسسوا محطات بحرية في فرموزا ، كما وصلوا الى سومطرة في عام ١٥٩٥ وحكموا الجزر الاندونيسية وسيطروا على التجارة مع الصين واليابان ولم يحل منتصف القرن السابع عشر الميلادى الا وكان الهولنديون اكبر قوة أوربية في البحار الشرقية .

**سادسا : النتائج التي ترتبت على الكشوف الجغرافية :**

### **١ - النتائج الاقتصادية :**

استطاعت حركة الكشوف الجغرافية تغيير خطوط ومعالم مراكز التجارة العالمية حيث قلت أهمية البحر المتوسط بالنسبة لهذه التجارة وازدادت أهمية

المحيط الاطلسي ويعرف بعض المؤرخين ذلك بالثورة التجارية التي كان من أهم نتائجها .

( أ ) تدفق المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة الى أوروبا .

(ب) زيادة عدد أفراد الطبقة الوسطى من التجار ورجال الصناعة وارتفاع مستوى معيشتهم .

(ج) ظهور العديد من الصناعات والمحاصيل الزراعية الجديدة مثل البطاطس والكاكاو والتبغ والكيما والذرة .

( د ) ظهور مشكلة تصريف المصنوعات وزيادة الطلب على المواد الخام اللازمة للصناعة مما ساعد على حركة الاستعمار .

( هـ ) انشاء البورصات المالية العالمية وازدياد نشاط المصارف .

( و ) بناء الأساطيل الضخمة حتى تؤمن الدول الأوروبية سبل اتصالها بممتلكاتها فيما وراء البحار .

## ٢ - النتائج السياسية :

١ - اشتعال عملية التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية رغبة في التوسع فيما وراء البحار على حساب الشعوب المستضعفة .

(ب) قيام الحروب بين الدولة الأوروبية وبعضها .

(ج) السيطرة السياسية على دول الشرق .

## ٣ - النتائج الاجتماعية :

١ - اقرار مبدأ التفرقة العنصرية والمناداة بسيطرة الرجل الأبيض على غيره .

٢ - وضع حياة بعض الشعوب واراقتها تحت السيطرة الأوروبية .

- ٣ — انتشار أسواق الرقنق في أوروبا .
- ٤ — انتشار الحركات التبشيرية بفرض نشر العقيدة الكاثوليكية بين سكان المستعمرات .
- ٥ — إبراز دور الطبقة الوسطى .

### النتائج العلمية والثقافية :

- ١ — انماء عملية المعرفة ، وتغيير الكثير من العلوم الجغرافية المتوارثة عن شكل الكرة الأرضية وحجمها وعدد القارات والمحيطات .
- ٢ — تطرر علم الفلك ، وظهر معلومات جديدة عن الاجرام السماوية وغيرها .
- ٣ — اتساع مجال البحث العلمى .
- ٤ — ظهور معلومات جديدة فى علوم النبات والحيوان والبحار .